مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية
مجلد 42- العدد 1 (2026):385-398

Damascus University Journal of arts and humanities sciences Vol 42-No.1 (2026):385-398

قراءة في إشكالية تعريف علم الكلام ونشأته

علي محمد صافي[1*]

1- أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة دمشق.

*- Ali. Safe@damascusuniversity.edu.sy

الملخص:

يدور البحث هنا حول إشـــكالية تعريف علم الكلام وعوامل نشـــوئه، فلا يوجد إجماع حول تعريف هذا العلم، ولا حول العوامل المساهمة في نشوئه، فمن حيث التعريف، هناك من يرى أنه جدل عقلي أو محاججة عقلية بغيَّة الدفاع عن الدين، وثمة من يرى أنه محصور بنصرة مذهب ديني دون غيره من المذاهب، وأخيراً ثمة من يرى أنه جدل عقلي صـــرف؛ أي أنه ضرب من التفلسف، أو فلسفة خاصة بالعقائد الإسلامية على وجه الخصوص. ومن هنا لا يوجد إجماع حول تعريف هذا العلم ولا حول أهدافه وغاياته، فثمة حاجة لتناول هذا الإشكال. وكذلك فيما يتعلق بالأهمية الدينية والتاريخية لعلم الكلام، وبعوامل نشـــوئه، حيث نرى أقوالاً متعارضـــة حيال أهمية هذا العلم قبولاً أو رفضـــاً، كذلك الشـــأن بخصـــوص عوامل النشـــأة، فالبعض يرى أنها داخلية، والبعض يرى أنها خارجية وافدة، وقد كان لنا كلمتنا في هذا الشـــأن، حيث قسَّـــمنا تلك العوامل إلى مباشـــرة وغير مباشـــرة، ورأينا أن ثمة عاملين غير مباشرين وهما العقل الإنساني والنص القرآني، أما العوامل المباشرة فجعلناها عاملين أساسيين وهما: العامل السـياسـي، والتمازج الحضـاري. تُعدُّ هذه الدراسـة قراءة جديدة لإشـكالية قديمة مطروحة. فأهم ما يميّز هذه الدراسة هو تقديم رؤية خاصة حيث انتهت الدراسة إلى أن علم الكلام ضرب من الفلسفة خاص بالعقائد الإسلامية، وإن كان لا يتوقف عندها. وقد رأينا أن كل العوامل التي جيء على ذكرها قد ساهمت بولادة هذا العلم، وإن كنا أعطينا العوامل غير المباشرة أهمية أكثر من غيرها في هذه الولادة.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام، النص، التأويل، السلطة، الجدل، فلسفة.

تاريخ الإيداع: 2025/09/21
تاريخ القبول: 2025/11/05

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

Reading in the problem of definition and emergence of theology

Ali Mohammed Safi[1*]
1- Assistant Professor, Department of Philosophy, College of Arts and Humanities, Damascusuniversity.
*- Ali. Safe@damascusuniversity.edu.sy

Received: 21/09/2025
Accepted: 05/11/2025

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a
CC BY- NC-SA

Abstract:

The research here revolves around the problem of defining the science of speech and its origins, there is no consensus on the definition of this science, nor about the factors that contribute to its emergence, in terms of definition, there are those who see as a mental controversy or mental argument in the absence of the defense of religion, and there are those who see that it is confined to the support of a religious doctrine without other sects, and finally there are those who see that it is a purely mental controversy, that is, a kind of philosophy, In particular, Islamic beliefs. Hence there is no consensus on the definition of this science or about its goals and objectives, as there is a need to address this problem. Likewise, with regard to the religious and historical importance of theology, and the factors of its emergence, where we see contradictory sayings about the importance of this science in acceptance or rejection, as well as the matter regarding the factors of origin, some see that they are internal, and some see that it is an external external, and we have our word in this regard, where we divided these factors directly and indirect Directly, we made it basic factors: the political factor, and the cultural mixture. In summary, this study is a new reading of an old problematic problem. The most important characteristic of this study is to provide a special vision, as the study ended that the science of speech is a form of philosophy for Islamic beliefs, although it does not stop at it. We have seen that all the factors that were mentioned have contributed to the boys of this science. And if we gave indirect factors more important than others in this birth.

Key words: Theology, Text, Interpretation, Power of Controversy, Philosophy.

المقدمة:

يُسلِّم الكثيرون بأن علم الكلام، كعلم مرهون بالذود عن الدين، أي يرهنون الغاية الأساسية لهذا العلم بهذه النصرة للدين، ويرون أن هذا هو ما يميِّز هذا العلم عن الفلسفة، وبالتالي يصطنع هؤلاء خطاً فاصلاً بين علم الكلام وبين الفلسفة، بينما نرى نحن أن هذا الموضوع ليس أمراً مقضياً، بل هو أمر إشكالي، فلا يوجد إجماع على تعريف هذا العلم ولا حول غايته أو حتى عوامل نشوئه.

ويرى آخرون أن علم الكلام هو اعتماد الحجج العقلية، لنصرة الدين على طريقة هذا المذهب أو ذاك، أي يجعلون الغاية الأساسية لهذا العلم نصرة مذهب بعينه، لا نصرة الدين بالمجمل، وهنا بالذات نجد أن كل فرقة من الفرق الإسلامية، حصرت الكلام بنصرة مذهبها، فصار الكلام ساحة للسجال الثقافي بين الفرق.

كذلك الشأن فيما يخص نشأة هذا العلم وعوامل تلك النشأة، فالبعض يرجع الكلام للقرآن وللرسول الكريمين، وأن الصحابة هم أو المتكلمين، وآخرون يرون أن نشوء هذا العلم يرجع إلى المعتزلة، والبعض يرى أن الأشاعرة هم أهل الكلام ورؤساءه، وفيما يتعلق بعوامل النشوء فبالبعض يرى أنها إسلامية بحتة وآخرون يرون أنها ترجع لعوامل خارجية، فحتى عوامل نشوء علم الكلام موضوع إشكالي، وللباحث كلمته في كل ذلك، حيث تُعدُّ هذه الدراسة بمثابة قراءة جديدة لموضوع تقليدي. وعليه يمكن صياغة السؤال المركزي على النحو التالي:

هل يُعدُّ تعريف علم الكلام وعوامل نشوئه موضوعاً إشكالياً؟ وهل يمكن تقديم قراءة أو رؤية جديدة خاصة بذلك؟.

وتتألف هذه الدراسة من مقدمة وخاتمة ثلاثة مباحث أساسية: الأول منهما خاص بالتعريف بعلم الكلام، والثاني خاص بالأهمية الدينية والتاريخية لهذا العلم، أما الثالث فقد تم تخصيصه لعوامل النشوء، وقد قسمناها لعوامل غير مباشرة وأخرى مباشرة. أما غير المباشرة فهي عاملان: العقل الإنساني والنص القرآني، وأما العوامل المباشرة فهي العامل السياسي والتمازج الحضاري، وانتهينا أخيراً إلى جملة من النتائج الهامة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يُمثِّل قراءة علمية موضوعية، حول نمط ثقافي عربي إسلامي، وبالتالي تكمن الأهمية في تأصيل هذا النمط على أسس علمية وفلسفية.

أهداف البحث:

ثمة أهداف يمكن إيجازها بما يلي:

1. تقديم قراءة عصرية وأكثر مرونة حول التعريف بعلم الكلام وأهميته وعوامل نشوئه.
2. محاولة جعل علم الكلام نمطاً أو ضرباً من ضروب الفلسفة، أكثر من كونه مجرَّد لاهوت. أي إرساء هذا العلم على أسس فلسفية.
3. إبراز الجانب المضيء في التراث العربي الإسلامي، وهو الجانب الفلسفي أو العقلي، والعمل على تأصيله وتعميقه.

منهجية البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التاريخي، لرصد تاريخ الأفكار واستخلاصها من مجريات الأحداث الواقعية في التاريخ الإسلامي، كذلك اعتمدنا على المنهج المقارن؛ لمقارنة الآراء والمعتقدات بين الفرق والأديان، بالإضافة لذلك اعتمدنا على المنهج النقدي ما يمكننا من تجاوز الحساسيات الدينية أو المذهبية.

الدراسات المرجعية:

هناك دراسات كثيرة حول هذا الموضوع، لكنها دراسات فرعية متصلة تُمثِّل جزءاً من دراسة أشمل، أما كبحث مستقل فلم نعثر على دراسة خاصة بهذا الموضوع. لا سيما أن دراستنا تُعدُّ بمثابة قراءة خاصة حول الموضوع، وهذا ما يعطي هذا البحث مشروعيته البحثية.

أولاً: التعريف بعلم الكلام:

الحقيقة يُشـكِّل تعريف علم الكلام موضـوعاً اشـكالياً، لأنه لا يوجد تعريف جامع مانع لهذا العلم، بل ثمة تعريفات عدة مختلفة باختلاف المتكلمين أنفسهم، وباختلاف مذاهبهم أو فرقهم الكلامية – العقائدية. وقبل الحديث عما اختلف فيه المتكلمون بخصوص التعريف، لا بد من الإشارة إلى أن الكلام ليس المقصود به مجرَّد النطق، أو الأصوات التي تتكون من حروف وكلمات، بل هو الكلام المصحوب بالتفكير، فيوازي الكلام هنا المنطق أو التفكير المبني على أساس منطقي أو عقلي.

وفي الواقع يوجد موقفان اثنان حيال هذه المسألة، أما الأول فيرى أن علم الكلام لم يكن يتضمن في بداياته أي إشارة إلى المناقشات والجدل الخاص بالقضايا العقائدية، وهذا يرجع إلى فترة صدر الإسلام؛ أي زمن الرسول والصحابة، حيث يرى الإيجي أن الكلام يرجع إلى الصحابة الذين كانوا يبحثون في دلالات التوحيد والنبوة، في مواجهة منكري النبوة والدين الجديد، ولم يكتفِ الإيجي بذلك بل بالغ في المسألة حتى أرجع الكلام إلى النص القرآني ذاته، فيقول: إن ما ذُكر في علم الكلام إنما يُعدُّ قطرة في بحر ما تم ذكره في القرآن الكريم.(الايجي، ب. ت،30–31).

أما الموقف الثاني فيرى أن الكلام بدأ في مرحلة متأخرة، حيث ارتبط الكلام بمن جعل من مسائل الاعتقاد، المختلف فيها، موضوع برهنة جدلية. أي ربط هؤلاء نشوء الكلام بالطرح الجدلي البرهاني. وهذا ما لم يظهر إلا في أواخر القرن الأول الهجري، على نحو أولي، ثم في القرن الثاني وما تلاه من قرون، فالكلام بدأ بتناول مسائل خلافية، ثم بعد ذلك اتسعت المناقشات الكلامية لتتضمن بعض المسلمات الدينية. (العوا، 83،2006).

ومن جهة أخرى يتصل الكلام بالمسائل الدينية الأساسية، وهي المسائل العقائدية، من وجود الله – ذاته وصفاته، وما يتصل بالنبوة ودلائلها، وكل ما يخص العقائد الدينية، فلا مدخل للكلام على المسائل الفقهية، الخاصة بالعبادات، باستثناء ما يتصل بأصول الفقه أو قواعده الأصولية.

ولئن كان الكلام بحثاً في المسائل العقائدية، إلا أن هذا البحث غالباً ما كان بحث غير مجرَّد، بمعنى أنه لم يكن بحث لمجرَّد البحث، أو طلب للمعرفة بذاتها، بل غالباً ما كان بحثاً من أجل الدفاع عن الدين، أو الدفاع عن فرقة كلامية بعينها. وللباحث موقف حيال هذه المسألة سيتم ذكره بعد عرض المواقف المختلفة حيالها.

وكما قلنا فإن الكلام بدأ من أجل هدف أساسي هو الدفاع عن الدين، بموجب العقل، وهذا ما حدده بدءاً الفارابي (ت 339 هـ) الذي عرَّف علم الكلام بأنه صناعة:" يَقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرَّح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفاها بالأقاويل" (الفارابي، 1931، 71)، وقد أكد ذلك بعد الفارابي كثيرون كالإيجي (ت 756 هـ)، وكطاش كبرى زاده (ت 62 هـ)، فالأول رأى أن الكلام " علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية ودفع الشبه، بالحجج العقلية" (الايجي، ب. ت، 7) والثاني وضع شرطين أساسيين للكلام: أولهما أن يكون القصد فيه تأييد الشرع بالعقل، والثاني أن تكون العقيدة مما ورد في الكتاب والسنة (زاده، 1985، 132). وفي هذا دليل كافٍ على شرط النصرة التي وضعه المتكلمون في بداية عهدهم بالكلام.

لكن هذه النصرة لم تبقَ محصورة بالدين عموماً، بل صارت مخصوصة بمذهب أو فرقة من فرق الإسلام المتشعبة. فالغزالي جعل الغاية من الكلام " حفظ عقيدة أهل السنة من تشويش أهل البدع." (الغزالي، 1309هـ، 6-7) وقد حصر الغزالي الكلام بالأشاعرة من أهل السنة. كذلك فعل من بعده ابن خلدون، فهو وإن عرَّف الكلام بأنَّه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، إلا أنه خصَّه بالرد على شُبه المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات وفق مذهب السلف وأهل السنة.(ابن خلدون، ب. ت، ج1، 382).

لكننا نرى أن علم الكلام لم يكن دوماً مشروطاً بهذه النصرة، ونستطيع أن نتلمس بعض الإشارات الدالة على هذا حتى لدى بعض المتكلمين، فالتفتازاني (792 هـ) جعل الغاية من الكلام تحلية الإيمان بالإيقان، وتخصيص الكلام على قانون الإسلام (عبد الرازق، 1959، 262- 263). وهذا يعني أن غاية علم الكلام هي فهم الدين بموجب العقل أو عقلنة الدين بغض النظر عن الدفاع عنه.

كذلك يبرز لنا الكلام عند التوحيدي بأنه باب من الاعتبار في أصول الدين، وهذا الاعتبار هو نظر أو تأمل عقلي محض، وإن كان هذا النظر وفق مبادئ المعتزلة وأصولها، إلا أن مجرَّد جعل الكلام نظر عقلي محض يثبت وجهة نظرنا بتجرُّد علم الكلام، أي في كونه بحثاً عقلياً بالدرجة الأولى، أو كما يقول هنري كوبان جدل عقلي صرف، موضوعه المفاهيم اللاهوتية في الإسلام، وهي عينها المفاهيم الكلامية، فعلم الكلام في الإسلام يوازي علم اللاهوت في المسيحية وفي الأديان الأخرى. (كوربان، 169.1969)

ولم يتوقف كوربان عند هذا الحد بل، وصل به الأمر إلى عدِّ علم الكلام، مقابلاً أو موازياً للفلسفة، في حين ذهب المستشرق الفرنسي رينان(1860) إلى أبعد من ذلك، حيث رأى أن علم الكلام يُمثِّل الحركة الفلسفية في الإسلام، خلافاً للفلسفة المدرسية المسماة بالفلسفة العربية الإسلامية (80).

وقد بات غير خفي الآن ما في علم الكلام من عناصر فلسفية، حتى لدى المجحفين في النظر إلى علم الكلام بأنه مجرَّد لا هوت، ونحن لا نريد أن نبالغ كما بالغ رينان بجعل الكلام هو الفلسفة دونما سواه، بل غايتنا هي تأكيد ما في الكلام من عناصر فلسفية، والحجة القائلة بأن الكلام مجرَّد لاهوت؛ لأنه وإن كان بحثاً عقلياً في العقائد الدينية، إلا أنَّه بحث مشروط بالذُّود عن تلك العقائد، أقول إن هذه الحجة غير دقيقة، وما يُثب ذلك هو بروز متكلمين لم تصب أفكارهم في خانة الذُّود عن الدين، بل ويُتهم بعضهم كابن الرواندي بالإلحاد، وقد صار الإلحاد اسماً له، كذلك يُرمى أبو بكر الرازي بالزندقة، ونظريته في القدماء الخمسة لم تُستخدَم للدفاع عن الدين، ولا عن مذهب من المذاهب، وهذا ما يدحض الفكرة القائلة: بأن الغاية الأساسية من علم الكلام هو الدفاع عن الدين، وأنه أقرب إلى الدين منه إلى الفلسفة.

أما بخصوص أن المتكلم ينطلق أساساً من الإيمان، وكل نتائجه المعرفية تأتي مغلفة بطابع إيماني، في حين إن الفيلسوف يُفترَض به أنه يبدأ رحلته المعرفية دونما إيمان مسبق بالحقيقة أو بالله، وإن هذا الإيمان- إن حدث - يأتي كنتيجة للبحث المعرفي. فإن هذه المسألة ليست دقيقة كل الدقة، فلا المتكلم مجرَّد مؤمن، ولا الفيلسوف مجرَّد من الإيمان كلياً، وأمثلة ذلك جلية في تاريخ الفلسفة، فكل الفلاسفة الإيمانيّن كانوا مؤمنين قبل الخوض بالفلسفة، وانتهت فلسفتهم إلى تثبيت الإيمان بمنهج فلسفي، وينطبق عليهم ما ينطبق على المتكلمين، ألم يكن أفلوطين مسيحياً أو تعرَّف إلى المسيحية في صغره، وقد جاءت نظريته في الثالوث الفيضي منسجمة مع فكرة الأقانيم الثلاثة في المسيحية؟. وكذلك الشأن لدى أوغسطين، وجون سكوت أريجين، وأنسلم وتوما الأكويني، ومن قبلهم الفارابي وابن سينا وابن رشد، ومن بعدهم ديكارت ومالبرانش ولايبنتز...الخ. وكمثال على ذلك يمكن تلمُّس محاولة توما الأكويني تطويع فلسفة أرسطو لتنسجم مع التوجه اللاهوتي الموحى الذي يؤمن به الأكويني.(ملحم، 2021، 158)

فلماذا حينما يتعلق الأمر بفيلســـوف غربي، نغض النظر عن إيمانه ودفاعه عن الدين أو تقديمه للدين بحلة عقلية، وحينما يتعلق الأمر بفيلسوف مشرقي أو مسلم، فإننا نرفض تأصيله فلسفياً، ونحكم على محاولته بأنها لا تتُعدُّى التوفيق بين الحكمة والعقل، ولا ترقى لمستوى الفلسفة بالمعنى المحض؟.

وبعد ذلك يمكننا تقديم تعريف لعلم الكلام هو أقرب إلى رؤيتنا، وهو علم الإلهيات في الإسـلام، وهذا هو التعريف المختصـر الذي نتبناه، فإن هذا العلم ليس علماً بمعناه الحديث أو المعاصـــر، بل يعني الإحاطة العقلية بالمســـائل الإلهية الإســـلامية، أو البحث العقلي في المســائل العقائدية الإســلامية، وما يتصــل بها من قريب أو بعيد، وكل بحث عقلي في المســائل العقائدية لأي دين من الأديان يمكن أن يُعدُّ كلاماً، غير أن التسمية خاصة بالإسلام دون غيره، وإن كان من الجائز اصطلاحاً استخدام التعبير في غيره، تماماً كما اللاهوت فقد تم اسـتخدامه للتعبير عن البحث العقلي في العقائد المسـيحية، لكن يَصـحُ اسـتخدامه في كل دين، بما في ذلك الدين الإسلامي، فيصح القول لاهوت إسلامي، كما يصح القول كلام مسحي أو يهودي أو هندوسي.

ثانياً: الأهمية الدينية والتاريخية لعلم الكلام:

نجد حيال هذه المسـألة موقفين اثنين: أحدهما يبالغ بأهمية علم الكلام ويرجعه إلى الصـحابة والرسـول الكريم، بل يجعل من القرآن الكريم كتاباً كلامياً، حيث لم يترك الكتاب الكريم مســألة من مســائل الكلام إلا طرق بابها، وقد مرَّ معنا موقف الإيجي مثالاً على ذلك، ورأينا كيف جعل الإيجي من الصـــحابة علماء كلام، ومن القرآن الكريم كتاباً جدلياً وبرهانياً، ولا تُعدُّ المســـائل لتي طرحها المتكلمون شيئاً يذكر مقارنة ببحر الكلام القرآني، حسبما أفاد الإيجي.

أما الموقف الآخر فيمثله موقف معارض للأول، يرى أن الكلام بدعة ابتدعها أصحاب الشُّبه ليُشكِلوا على المؤمنين إيمانهم، ويستند هؤلاء إلى نصـــوص قرآنية وأخرى نبوية تدعم موقفهم. فمن القرآن يقدمون الآية التالية" ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أمُّ الكتاب وأُخَرَ متشـــابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشـــابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراســخون في العلم يقولون آمنا به... (آل عمران، آية: 7) فاللجوء للتأويل الذي هو أداة المتكلمين الأســاســية، ووسـيلتهم في فهم الدين ونصـوصـه المقدسـة، يُعدُّ زيفاً أو انحرافاً عن الحق، بُغيَّة الفتنة. أما نحن فلا نرى أن التأويل بذاته انحرافاً عن الحق، وإلا لما نسـبه الله إلى نفسـه بقوله: وما يعلم تأويله إلا الله. وإنما بعض المؤوِّلة في قلوبهم زيغ، والآية تخص البعض لا الكل بحكم اللغة والمنطق، فمن لجأ للتأويل وفي قلبه زيغ فهولاء هم المقصـــودون بالمنع دون ســواهم. ومن جهة أخرى فإن لله علم استأثر به لنفسه لا يعلمه أحد من خلقه، وهذا لا يعني أن الراسخين في العلم ليس لديهم علم بالتأويل على وجوه مختلفة.

أما في الحديث النبوي، فثمة أحاديث عديدة، لعل أهمها الحديث التالي عن أبي هريرة قوله: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يُكفَر بالله جهرا، وذلك عند كلامهم في ربهم." (الهيثمي، ب. ت، 81). أما نحن فنتساءل هل كل الكلام في الله يتضـمن كفراً؟ ألم يستخدم مفكرو الإسلام في القرون الهجرية الأولى الجدل العقلي والحجج البرهانية والمنطقية من أجل الدفاع عن الدين ضد خصـومه من أهل الديانات الأخرى التوحيدية والثنوية؟ ألم يكن للمتكلمين الأوائل فضل عظيم في دخول الآلاف المؤلفة في الإسلام من خلال كلامهم في التوحيد والتنزيه والعدل؟ ولذا نحن نفهم الحديث السابق بأن بعض الكلام في الرب كفر، وهذا هو المنهي عنه، وبعض الكلام على عكس ذلك في قمة الإيمان والتوحيد، فلا يصح حمل هذا النص على عموم الكلام والمتكلمين.

لكن الأمر لم يقتصـر على النص القرآني والنبوي، بل عدا ذلك إلى علماء وأئمة كثر أظهروا مواقف متباينة من الكلام وأهله، حيث أنهم مارسـوا الكلام، زمناً طويلاً ثم لجأوا في أخريات أيامهم إلى مهاجمة الكلام والمتكلمين. فثمة نص لمالك بن أنس (ت179 هـ)

ينهانا عن الكلام عن الله يقول فيه: " إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسمائه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون." (السيوطي، 1992، 18) ومالك قد تكلَّم في أكثر من مسألة، لكنه في أخريات أيامه أظهر ندمه حيال ذلك بقوله: " ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الامر بسوطٍ." (ابن عبد ربه، ب. ت، ج2. 1072).

كذلك الشافعي حيث يُعدُّ من المتكلمين الأوائل لدى أهل السنة، لكنه حينما اقتربت منيته أظهر موقفاً معادياً للكلام بقوله: " لو علم الناس ما في علم الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد." (الذهبي. ج10. ص16). لكن هذا الموقف المعادي للكلام من قبل هؤلاء، لا يمكن الاعتداد به؛ نظراً لأن هؤلاء أنفسهم قد اعتمدوا على الحجة العقلية والجدلية في إثبات أفكارهم والدفاع عن عقيدتهم في مواجهة الخصوم.

كذلك لا يمكننا الاعتداد بالموقف المعادي آنف الذكر؛ لأننا في حال فعلنا ذلك سنجد أنفسنا في مواجهة جيش بل جيوش من المتكلمين الذين برعوا كل من موقعه في علم الكلام، ليس لمجرَّد الكلام عن ربهم، تشكيكاً أو زيغاً، بل بالعكس للزود عن حياض الدين عبر تقديمه في حلة عقلية مقنعة، حيث برز المتكلمون حاملين راية العقل والعقلانية في التاريخ الفكري للإسلام والمسلمين.

ونحن لم نجد أحداً ممن يُعتدُّ بهم في التاريخ الإسلامي إلا وقد اعتمد على العقل من قريب أو بعيد، فابن حنبل مثلاً الذي يقال أنه من أبعد الناس عن التأويل العقلي، نراه يؤول أحاديثاً نبوية متعلقة بتشبيه الله وتجسيمه، يؤولها على نحو عقلي يليق بذاته المنزهة عن مشابهة المخلوقين. فإذا كان هذا هو شأن ابن حنبل فما بالك بغيره من المتكلين الذين حملوا راية هذا العلم وبلغوا فيه مبلغاً عظيماً.

ثالثاً: عوامل نشوء علم الكلام:

لا يمكن الحديث عن عامل واحد يكمن وراء نشوء علم الكلام، وإنما هناك عوامل عدة لذلك، ويتم عادة تقسيم العوامل التي كان لها دورٌ في ولادة علم الكلام إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية وافدة، أمَّا نحن فنعتمد على الطريقة التاريخية في تقسيم عوامل نشوء هذا العلم، ونقسمها إلى عوامل غير مباشرة وأخرى مباشرة، وسنعمد إلى تقديمها على النحو التالي.

1_ العوامل غير المباشرة:

هذه هي العوامل العميقة، وهي بمثابة العوامل الحقيقية ذات التأثير البعيد، أي الأكثر جوهرية، وهما عاملان اثنان وهما العقل الإنساني والنص القرآني.

1_1 العقل الإنساني:

الإنسان كائن بسيط؛ لأنه بطبيعته يميل إلى تحليل الأمور المركبة، ومعرفة بدايات الأمور والأشياء والحقائق الأولية، لكن بنفس الوقت الإنسان ذات طبيعة مركبة أو معقدة، وهذا التعقيد يبرز من خلال ميل الإنسان إلى إضفاء صورة كلية للأشياء والحقائق، وإن الإنسان بطبيعته لا يكتفي بنمط واحد من العيش وهذا ما يُفسِّر الطبيعة التطورية للإنسان، فهو بطبيعته يميل إلى النمو والارتقاء، ليس ببدنه فقط بل بمعاشه ومحيطه ومعشره، والأهم هو بتفكيره وطموحه، وهذا ما يفسِّر عدم اكتفاء الإنسان بما يحققه من إنجازات وأهداف، فكلما حقق الإنسان هدفاً منشوداً تجاوز ذلك بطلب أهداف أكثر تقدماً وتعقيداً.

وما نريد قوله أن الإنسان في شبه الجزيرة العربية، كان يعبد الأوثان، وبأحسن أحواله الآلهة التي تكمن خلف تلك الأوثان، ثم أدرك أنه لا يليق به أن يتعلق بعبادة حجارة و أخشاب، أو التعلق بآلهة كُثر لا تقدِّم نفعاً ولا تدفع ضراً، لا لها ولا لأتباعها، فصار إلى عبادة الله الواحد الأحد، وقد بدأت رحلته مع التوحيد بتسليم عفوي بسيط، ثم صار لازماً أن يعمد إلى عقلنة إيمانه، ليتمكن من

فهم بعض القضايا المُشَكلة داخل النصوص الدينية ذاتها من جهة، وليتمكن من درء الشبهات التي كان يثيرها بعض المغرضين من داخل الدين الجديد ومن خارجه.

وما نريد قوله هنا أن العقل الإنساني، وضمناً العقل العربي الإسلامي في شبه الجزيرة العربية وخارجها، يمتلك الاستُعدُّاد الفطري للارتقاء من حالة إيمانية عفوية، إلى إيمان عقلاني. وهذا ما عبَّر عنه عادل العوا الذي أكد أن نشوء علم الكلام يستند أولاً إلى أسس عميقة متصلة بحاجات العقل الجمعي لدى عامة المسلمين وخاصتهم، فالكلام عبارة عن انعكاس لتقدم الفكر العربي الإسلامي، وبلوغه مرحلة جديدة أكثر تقدماً، فما كان لواصل بن عطاء المعتزلي مثلاً أن ينشر مذهبه، لولا أن لاقت أفكاره استُعدُّاداً مسبقاً من قبل أتباعه، وليست مسألة خلافه مع الحسن البصري إلا تسطيح للمسألة، وحرف لها عن جوهرها.(العوا، 2006، 85-86)

لكن هذا لا يعني أن نشوء الكلام كان فقط بفعل تطور ذاتي للعقلية العربية، بل هناك عوامل أخرى كان لها دور كبير في تلك النشأة، وقد هيَّأت المناخ الفكري المناسب لتلك الوثبة الفكرية. (عون، 1976، 28) فالأساس هو الاستُعدُّاد العقلي، وقد ساعدت العوامل الأخرى في انتقال هذا الاستُعدُّاد من حيز القابلية إلى حيز التحقيق.

1_2 النص القرآني:

يُمثِّل النص القرآني العامل الثاني من العوامل غير المباشرة، في ولادة علم الكلام، والنص القرآني يتضمن نصوصاً ذات بعد إشكالي، وهي النصوص التي أطلق عليها القرآن ذاته اسم المتشابهات، فالآيات المتشابهات هي آيات إشكالية، مثَّلت الأرضية الأساسية للنقاش الفلسفي أو الكلامي، وقد عدَّ ابن خلدون الآيات المتشابهات المصدر الأساسي لنشوء علم الكلام.(ابن خلدون، ب, ت،ج1، 386-388)

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على نحو صريح أن الإنسان مسيَّر لا قدرة له ولا مشيئة، مثل: ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ (التكوير، آية: 29) كذلك قوله: ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً. إلا أن يشاء الله ...﴾ (الكهف، آية: 22-23). وفي المقابل هناك آيات تدل على حرية الإنسان وقدرته على الفعل والاختيار مثل: ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (الكهف، آية: 29)

كذلك هناك آيات تدل على تشبيه الله وتجسيمه، من خلال الإقرار بأن له يداً ووجهاً وجنباً وغير ذلك، وأنه في مكان وجهة وهو يأتي وينزل ويستوي على العرش. في المقابل هناك آيات تشير إلى تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، فهو ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى، آية: 11). وهناك آيات تدل على الرأفة وأخرى على البطش، وآيات تدل على العفو وأخرى تأكد على الوعيد.

فإن وجود مثل هذه الآيات المُشكلة تدفع بالإنسان إلى التخبط بين التخيير والتسيير، وبين التشبيه والتنزيه، حيث يبدو ظاهر الآيات متعارضاً، ولا بد من أجل حل هذا التعارض من إعمال العقل في حل هذه المتشابهات، فطالما أن القرآن من لدن لطيف حكيم، فلا يمكن أن يكون ذاك التعارض حقيقياً، ولا بد من حل عقدته بالحكمة والعقل. وقد مثلت تلك الآيات مادة غنية للنظر وإعمال العقل.

كذلك نجد النص القرآني مليء بالآيات التي تدعو إلى التفكر والنظر في ملكوت السموات والأرض، وإلى التدبُّر والحكمة الحسنة، وقد شكَّلت تلك الآيات حافزاً باتجاه التفكر وإعمال العقل تحت غطاء نصي معلن، وهذا ما جعل البعض يتجاوز مسألة الجواز في التفكر والنظر العقلي، إلى وجوب ذلك، امتثالاً لصريح الآيات القرآنية.

وبعد كل ذلك نجد أن القرآن الكريم في مجمله كتاب في العقائد الدينية والإسلامية خصوصاً، حيث أن الآيات التي تتعلق بالفقه والتشريع عددها قليل لا يتجاوز الستمائة آية، وباقي الآيات تدور حول " بيان التوحيد والرد على عبدة الأوثان، وأصناف المشركين

... وأنت لو فتشت علم الكلام لم تجد فيه إلا تقرير هذه الدلائل والذَّب عنها، ودفع المطاعن والشبهات القادحة فيها." (الرازي، ب. ت، 207-308).

أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم تعرَّض لذكر عقائد المخالفين للمسلمين، كاليهود والمسيحية والمجوس والدهرية والصابئة، وذكر قصصاً عن أنبياء تلك الديانات وغيرهم، وردَّ عليهم في أكثر من مسألة، وقد شكل ذلك مناسبة لتعرف المسلمين على تلك الأديان، على طريقة مناقشتها وموقف الإسلام منها، وهذا كله شكَّل عاملاً مهماً في ولادة علم الكلام.

2- العوامل المباشرة:

هذه العوامل شكَّلت سبباً مباشراً في ولادة علم الكلام، ويمكن الاقتصار على عاملين اثنين، أولهما العامل السياسي، والثاني هو التمازج والتداخل الحضاري بين الحضارة العربية الإسلامية وبين غيرها من الحضارات، ويتفرع عن هذا العامل عوامل فرعية مثل حركة الترجمة والفتوحات، سنتحدث عنها ضمن حديثنا عن التمازج الحضاري.

2-1- العامل السياسي: الصراعات السياسية:

كان العرب قبائل متفرقة، فجاء الإسلام وجمع شملهم في أمة واحدة، يجمعهم التوحيد، تحت راية الإسلام الذي رفع لواءها النبي الكريم. لكنَّ المسلمين بعد وفاة نبيهم نازعتهم مفاتن السلطة، ودبَّ الخلاف بينهم حتى اقتتلوا فيما بينهم. لم يعرف المسلمون فيما بينهم خلافاً كخلافهم على الإمامة أو الخلافة، كما يقول الشهرستاني (الشهرستاني، ب. ت، ج1، 31) وما عمل النبي الكريم على محاربته وإخماده طيلة ثلاثةٍ وعشرين عاماً – أقصد العصبية القبلية – ما لبت أن هبت رياحها منذ أن كان النبي على فراش الموت، ثم شيئاً فشيئاً حتى تحولت تلك الرياح إلى أعاصير حصدت أرواح الآلاف في معارك أشهرها معركة الجمل وصَفِّين والنهروان، وذلك في أواخر العقد الثالث من القرن الأول للهجرة النبوية.

وأول الفرق الإسلامية ظهوراً كانت الخوارج والشيعية والمرجئة، وهي فرق سياسية بامتياز، وأقصد أن السبب الأساسي في نشوئها كان سياسياً، والتي ما لبث أن تحوَّل الخلاف إلى خلاف عقائدي ومذهبي. ومنذ البدء حاول كل فريق أن يجد المبررات السياسية والفكرية لوجوده كفريق، ولأحقيته في الوصول لسدة السلطة. ومن هنا لجأت الفرق المتصارعة إلى استخدام الحجة العقلية، ولجؤوا إلى التأويل لتبرير مواقفهم حتى لو كانت تجافي الحقيقة. ومن ذلك حينما قتل عمَّار بن ياسر في معركة صفِّين، واستذكر الناس الحديث النبوي القائل: تقتل عماراً الفئة الباغية. عندها لجأ معاوية بن أبي سفيان إلى تأويل الحديث، فقال: لم يقتله الذي رماه بالرمح، وإنما قتله الذي دفع به لأن يُقتل. ومن هنا لجأ المتصارعون لاستخدام التأويل والحجة العقلية سلاحاً يزودون به عن مشروعيتهم كفريق سياسي له الحق في الوصل للسلطة، ثم كصاحب الحق في الرؤية العقيدية والمذهبية، حتى صار كل فريق يقدِّم نفسه كفرقة ناجحة، وصار لكل فريق مفسروه ومحدثوه وشعراءه، ثم متكلموه وعلماءه وفلاسفته.

2-2- الاتصال الحضاري:

إن الاتصال الحضاري بالشعوب والحضارات المجاورة للعرب المسلمين، كان له دورٌ بارز في نشوء علم الكلام والفلسفة العربية الإسلامية، بل وحتى في نشوء العلوم في شتى المجالات. وقد كان هذا الاتصال عبر قناتين أساسيتين: أولاهما الفتوحات العسكرية خارج شبه الجزيرة العربية، والثانية حركة الترجمة للتراث الفكري للحضارات المجاورة.

فبالنسبة للفتوحات التي اتسعت شرقاً إلى فارس ثم الهند والصين، وغرباً إلى افريقيا وشمالاً إلى أوربا حيث وصلت الحملات الإسلامية إلى جنوب الراين في قلب القارة الأوربية، وقد مكَّنهم كل ذلك من الاتصال المباشر بكل حضارات العالم، بما فيه من

أديان وفلسـفات وعلوم وآداب وفنون، فلجأ العرب المسـلمون إلى ترجمة الإرث الحضـاري الموجود في أصـقاع العالم، وقد لعبت الترجمة إلى جانب الفتوح العسكرية دوراً بارزاً في النهضة الثقافية للعرب المسلمين.

إن دخول الإســـلام إلى البلاد الجديدة، كان له نتائج ثقافية عديدة، ففي البداية تعرَّف العرب إلى الإرث الثقافي لتلك البلاد، من خلال الاحتكاك المباشـر بشـعوب تلك البلاد، ومن خلال الترجمة، حيث بدأت حركة الترجمة منذ العهد الأموي في النصـف الثاني من القرن الأول الهجري، وكانت البدايات الأولى للترجمة خاصـــة بترجمة الكتب ذات الطابع العلمي من كيمياء وفلك بالإضـــافة للترجمة بعض الكتب ذات الطابع الأدبي.

ومن نتائج ذلك الاتصـال كان دخول بعض سـكان البلاد المفتوحة في الإسـلام، وقد اسـتوعب هؤلاء الإسـلام في ضـوء معتقداتهم وأفكارهم السـابقة، فالكثير من المسـلمين الجدد كانوا يدينون بأديان بل وفلسـفات سـابقة للإسـلام، ومن ثم كانوا يوفقون بين ما كان لديهم وبين أفكار ومعتقدات الإســـلام، كذلك كان من بين هؤلاء من رفض الدخول بالإســـلام، أو دخل به بهدف العمل من الداخل على محاربته، والتشكيك بمتعقداته، ولقد استطاع المسلمون بوقت وجيز كسب المعركة العسكرية، لكن المعركة الحقيقة كانت معركة فكرية، حيث واجه المسلمون جيوشاً من المشككين والطاعنين في الدين، ولذا كان عليهم أن يتسلحوا بسلاح الثقافة، بكل أشكالها، وأولها الفهم العقلي للدين والقدرة على تناول قضـاياه، تناولاً عقلياً، والرد على الخصـوم بطريقة عقلية، وليس بالاعتماد فقط على ما تقدمه النصوص الدينية من معلومات.

إن المنهج النقلي يمكن اسـتخدامه فقط بين المسـلمين، وذلك بالرجوع للنصـوص الدينية، والاعتماد على الحجج النصـية، لإثبات أو دحض وجهة نظر أو موقف ما، أما حينما يكون الخصم غير مسلم فلا يمكنك الاعتماد على الحجج النصيَّة، لأن الخصم لا يؤمن بالنص ولا بمصـدر النص، عندها تلزم الحجج العقلية والبرهانية، وهذا ما فعله المتكلمون وفلاسـفة الإسـلام.[1] ولهذا جاء ارتيادهم للكلام مطبوعاً بنفس اللون الحجاجي الذي كان يستخدمه الخصوم من لاهوتيين وفلاسفة. فالكلام كان بنحو أو آخر استجابة فكرية للتحديات التي واجهها الدين الجديد، وردة فعل ثقافية على الديانات والفلســـفات التي فرضـــت نفســـها على البنية الفكرية العربية الإسلامية. وربما لهذا تباينت الآراء حول إرجاع الكلام إلى مصادر مختلفة.

حيث يرجع البعض، وعلى رأسهم كثير من المستشرقين، الفضـل الأول في نشوء علم الكلام إلى المسيحية، وفي مقدمة هؤلاء دي بور الذي رأى أن المتكلمين الأوائل تتلمذوا على يد اللاهوتيين المســـحيين، وقد أثروا بهم أيما تأثير(دي بور، ب. ت، 49-49) كذلك رأى فون كريمر أن أول مسـألة تكلمت فيها المعتزلة هي مسـألة الإرادة الإنسـانية، وهي مسـألة مسـيحية بامتياز، ولذا يربط كريمر نشوء المعتزلة بالمسيحية (أبو ريان، 1973، 140) وقد رأى ولفسون أن المشكلات الكلامية الأساسية كمشكلة الصفات وخلق القرآن والخلق وغيرها هي مشكلات متصلة بالمشكلات التي طرحها فيلون الاسكندري وآباء الكنيسة المسيحية (ولفسون. 2005. ج2. 895) ونحن لا ننكر تأثر المعتزلة أو حتى باقي الفرق الكلامية بالمسيحية، لاسيما وأن غيلان الدمشقي الذي كان من أوائل القدريين في الإسلام، كان مسيحياً، لكن ليس لدرجة أن ننسب الكلام إلى المسيحية لا سيما أن مسألة الإرادة الإنسانية مطروحة بقوة في القرآن الكريم، فلا وجه لحصرها بالمسيحية وتأثيراتها على المتكلمين والمعتزلة.

[1] – يـذكر أن ملـك السـند أرسـل لهـارون الرشـيد يطلـب منـه أن يرسـل لـه مـن ينـاظرهم فـي الـدين، فأرسـل لـه الرشـيد رجـلاً مـن أهـل الحـديث، وقـد تمـت مناظرتـه مـن قبـل أحـد مفكـري الهنـد، فـانقطع رسـول الرشـيد ولـم يعـرف كيـف يـرد. فأرسـل ملـك السـند محضـر الجلسـة للرشـيد، الـذي غضـب غضباً شديداً وقال: أليس لهذا الدين من يزود عنه، فقيل له: بلا، إنهم المعتزلة، فأرسل له الرشيد رخل من المعتزلة، فناظرهم وأفحمهم.

والحقيقة أن أكثر الفرضيات المطروحة حيال هذه المسألة، تُرجِع تأثر الكلام بالمسيحية واليونانية، وهذا غير مستبعد لا سيما أن الفلسفات اليونانية، كانت قد وجدت طريقها إلى بلاد الشام والعراق وفارس، وبالتالي فإن دخول العرب المسلمين إلى تلك المناطق كان مناسبة لاتصالهم بالفلسفة اليونانية، ولذا رأى أبو الحسن الندوي أن علم الكلام كان وليد الفلسفة اليونانية، وقد أنكر الندوي النشأة الإسلامية لعلم الكلام. (العوا، 1992، 85) ولا شك أن للفلسفة اليونانية دور كبير في ولادة علم الكلام الإسلامي لا سيما عند المعتزلة، حيث تأثر متكلموا المعتزلة وفلاسفتها الأوائل بكثير من الأفكار اليونانية مثل: نظرية الجوهر الفرد عند العلَّاف والمعتزلة، ومن بعدهم الأشاعرة أيضاً، فهي شبيهة بالنظرية الذرية لدى اليونان مع أن النظريتين تختلفان عن بعضهما اختلافات جوهرية. كذلك نظرية الطبائع عند النظَّام والجاحظ ونظرية المعاني عند معمَّر بن عبَّاد السُّلَّمي، ونظرية الجبر عند جهم بن صفوان وشبيهها لدى الرواقية (ملحم،2019، 163) كل ذلك نظريات تم اقتباسها من الفلسفة اليونانية مع تُعدُّيلات عميقة عليها، ما يثبت اتصال وتأثر المتكلمين بالفلسفة اليونانية، لكن لا يمكن الاقتصار على الأثر اليوناني في نشأة علم الكلام، وإنما نؤكد على أهميته.

وبنفس السياق يرى المستشرق هورتن، أن المتكلمين تأثروا بقليل أو كثير بفرقة السمنية الهندية، وقد أكد هذا الأثر البيروني المتخصص بتاريخ الفكر الهندي (أبو ريان، 1973، 140) ومن غير المستبعد تأثر المسلمين بالسمنية وبغيرها من الاتجاهات الهندية، لا سيما الفكر البراهمي الذي بلغ في التنزيه مبلغاً كبيراً، وقد دارت بين المتكلمين وبين البراهمنية مناقشات ومناظرات كثيرة حول مسألة النبوة والوحي.

ووسط كل هذه الآراء حول هذه التأثيرات الخارجية بما يدعم فكرة الأصل الخارجي لولادة علم الكلام، نجد اتجاها كاملاً تبنى الأصل الإسلامي لولادة علم الكلام، ويمثِّل هذا الاتجاه من المسلمين ابن خلدون الذي عرضنا موقفه حيال مسألة المتشابهات حيث أرجع ولادة علم الكلام إلى المناقشات والمناظرات التي دارت بين المسلمين حول ما تشابه من الآيات القرآنية، وبالتالي يحصر ابن خلدون ولادة هذا العلم ضمن الدائرة الإسلامية، وقد رأينا كيف بالغ الإيجي الأشعري في إرجاع كل القضايا الكلامية التي تم طرحها، إلى القرآن الكريم وإلى الرسول الكريم وصحبه. وقد تبنى المستشرق الفرنسي هنري كوربان (1969) رأياً قريباً من هذا، حيث رأى أن مساعي المعتزلة ومحاولاتهم الكلامية – وهم حسب رأي كوبان أول الفرق الكلامية – كانت مستمدة من المعطيات الإسلامية بشكل أساسي وليست وافدة من الخارج (170).

وبعد كل هذه المواقف المختلفة حول الآثار المحتملة حول نشوء علم كلام، يتضح لنا برغم كل تلك التباينات بين تلك الآثار، الأثر البالغ الذي أحدثه التواصل الحضاري بين العرب المسلمين، وبين غيرهم من الحضارات والأديان والفلسفات المجاورة، فالتأثير واضح، وبرغم ذلك لا يمكننا الحسم بإرجاع الكلام إلى دين أو فلسفة بعينها، دون غيرها من الأديان والفلسفات. ولا بترجيح تام لعامل دون غيره، وما نستطيع تأكيده هو حدوث تأثيرات بنسب مختلفة من قبل كل تلك العوامل التي تم ذكرها.

ولأن كنا نرجح أن العقلية العربية لم تكن لترتاد الكلام لولا استُعدُّادها الغريزي أو الطبيعي، أي لولا طبيعة العقل الإنساني والعربي خصوصاً التي تميل إلى التعقيد والتطور والنمو التلقائي. وقد ساعدت العوامل الأخرى على ذلك التطور العقلي، ومن غير شك أن النص القرآني كان له دور كبير في ذلك، ورأي ابن خلدون وكوبان صحيح لكنه لا يكفي، فلا يمكن إغفال الأثر الخارجي في ولادة علم الكلام، حيث ساعدت الحياة السياسية والاجتماعية على تلك النشأة، بالإضافة إلى التمازج الحضاري الذي حدث بفعل الفتوحات العسكرية وحركة الترجمة التي تم التنويه لهما.

الخاتمة والاستنتاجات:

الموضوعات والقضايا التي تم ويتم تناولها في علم الكلام، هي قضايا إشكالية بامتياز، إذا لا يوجد اتفاق حول القضية الواحدة حتى بين المتكلمين المنتمين للفرقة الواحدة، ويدخل تعريف علم الكلام نفسه ضمن هذه الاشكالات الكلامية، إذ يوجد تعريفات عدة للكلام كما تم عرض كثير منها في متن البحث، ولهذا جاء هذا البحث للكشف عن هذه الاشكالية، وقد بات واضحاً بالنسبة لنا أن علم الكلام ينطوي على جهد عقلي أو فلسفي بالدرجة الأولى بغض النظر على البواعث أو الغايات للمتكلمين.

والتعريفات المتُعدُّدة لعلم الكلام كانت متصلة بشكل مباشر بالأهمية الاجمالية لعلم الكلام دينياً وتاريخياً، ثم بعوامل نشوء هذا العلم، وقد تم ايجاز القول في ذلك على أننا أجرينا تقسيماً جديداً لتلك العوامل، وقدمنا قراءة موضوعية حيالها وبالأخص فيما يخص العامل السياسي. وانتهينا إلى مجموعة من النتائج نوجزها على النحو التالي:

النتائج:

1- علم الكلام ليس مجرَّد استخدام للعقل دفاعاً عن الدين، بل هو علم قوامه الأساسي الاعتماد على محض العقل، أي الاعتماد الخالص للمنهج أو المناهج العقلية أو العقلانية. ولهذا عرفناه بعلم الإلهيات في الإسلام.

2- صحيح أن علم الكلام ارتبط عند أغلبية المتكلمين بالدفاع عن الدين أو المذهب، لكن جوهر الكلام ليس التبرير أو الدفاع، وإنما هو استخدام العقل والحجج العقلية.

3- موقف البعض المُعارض لعلم الكلام، يمكن تأويله على أنه معارضة للكلام الذي يسيء للعقيدة والإسلام، أما الكلام الذي يجعل الدين مفهوماً ومفسَّراً بالعقل، فهو كلام حَسَنْ على مبدأ الحديث النبوي: من سن سنة حسنة فله أجرها.

4- تم تقسيم عوامل نشوء علم الكلام لعوامل غير مباشرة وأخرى مباشرة، ولا يمكن الاكتفاء بعامل واحد دون العوامل الأخرى، إنما لعبت كل تلك العوامل دوراً بنسب متفاوتة في نشوء علم الكلام.

5- أثبتنا قدرة العقل العربي الإسلامي على ارتياد التجريد العقلي، وبالتالي على ارتياد الفلسفة بوصفها بحث عقلي مجرَّد عن الحقيقة. وكشفنا الدور الذي لعبه الغرب في تزييف الحقائق، بما يدعم مركزيته وإرجاع كل عناصر الجدة والإبداع إليه.

التمويل:

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل:(501100020595).

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (ب. ت). تاريخ ابن خلدون. ج1. مؤسسة جمال للطباعة والنشر. بيروت لبنان. 552.

3- ابن عبد ربه، يوسف. (ب.ت). جامع بيان العلم وفضله. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. دار ابن الجوزي. القاهرة مصر. ص 1494.

4- أبو ريان، محمد علي. (1973). تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. دار الجامعات المصرية. الاسكندرية. مصر.

5- الايجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد. (ب، ت). المواقف في علم الكلام. عالم الكتب. بيروت. لبنان. ص 462.

6- دي بور، ت.ج. (ب، ت). تاريخ الفلسفة في الإسلام. نقل: محمد عبد الهادي أبو ريدة. مطبعة لجنة التأليف. القاهرة. مصر.

7- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (1082). سير أعلام النبلاء. تحقيق: محمد نعيم العرقسوس. ط1. ج10. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. ص723.

8- زاده، طاش كبرى. (1985). مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ص 1707.

9- السيوطي، جلال الدين. (1992). حقيقة السنة والبدعة. تحقيق: خليل إبراهيم. ط1، دار الفكر اللبناني. بيروت لبنان. ص 110.

10- الشهرستاني، عبد الكريم. (ب، ت). الملل والنحل. تخريج: محمد بن فتح الله بدران. ط1. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. مصر.

11- عبد الرازق، مصطفى. 1959. تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. مصر.

12- العوا، عادل. (2006). المذاهب الفلسفية. ط10، منشورات جامعة دمشق، دمشق. سورية. ص 504.

13- عون، فيصل. (1976). علم الكلام ومدارسة. ط2. دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر.

14- الغزالي، أبو حامد. (1309هـ). المنقذ من الضلال. الطبعة اليمنية بمصر. القاهرة. مصر.

15- الفارابي، أبي نصر. 1931. إحصاء العلوم. تحقيق: عثمان محمد أمين. مكتبة السعادة. القاهرة. مصر. 80.

16- كوبان، هنري. 1969. تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة وحسين قبيسي. ط3. منشورات عويدات، بيروت. لبنان.

17- الهيثمي، علي بن أبي بكر. (ب. ت). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. الجزء الأول. كتاب الإيمان. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. 244.

18- ولفسون. هاري أ. (2005). فلسفة المتكلمين. ترجمة: مصطفى لبيب عبد الغني. ج2. ط1. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة مصر. 982.

ثانياً: أبحاث علمية:

1- ملحم، عدنان. (2021). إشكالية العلم الإلهي في منظور توما الأكويني. مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مج 37، عدد: 3، ص 147_ 163. دمشق: سورية

2- ملحم، عدنان. (2019). نحو تأصيل أنطلوجي لآراء جهم بن صفوان في الجبر. مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مج 35، عدد: 2، ص _ 163. دمشق: سورية.

ثالثاً: المراجع باللغة الأجنبية:

1- Renan, (E). 1860. Averroes et Iaverroisme. Paris.